الملامح التداولية في الشروح النحوية
الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية لابن معطي نموذجا

The deliberative features in grammatical annotations
al-safwa al-safi fi eldoura elalfia by Ibn Moati as a mode

بوزيان بلال *

بوجملين مصطفى ♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/24	تاريخ القبول: 2021/06/05	تاريخ النشر: 2021/12/20

الملخص:

شهدت الساحة الفكرية المرتبطة بالدرس اللساني في العقود الأخيرة بزوغ عدة تيارات ومناهج نقدية من بينها التيار التداولي، حيث كانت الظاهرة اللغوية إلى زمن ليس ببعيد تُدرس من عدة أوجه لغوية فقط، رأت التداولية قصورها عن إدراك واحتواء الموقف التواصلي لعزلها أحد أهم عناصره ألا وهو الاستعمال اللغوي.

هذا، ولعل نحاتنا في التراث العربي قد مثلوا وامتثلوا العلمية في دراسة اللغة إلى حد بعيد تعدى عند بعضهم الظاهرة اللغوية نفسها إلى الاستعمال اللغوي الذي عد في العصر الحديث أحد أهم ركائز المنحى التداولي.

ومن خلال ما سبق نود التماس ملامح هذا التيار اللغوي الحديث في جهود علمائنا القدامى الذين من بينهم النحاة.

الكلمات المفتاحية: التداولية، ابن معطي، الصفوة الصفية، النحو

Abstract:

The intellectual arena associated with the linguistic lesson has witnessed in recent decades the emergence of several currents and critical approaches,

المؤلف المرسل: بلال بوزيان bouziane.bilel@univ-oeb.dz

* **جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي bouziane.bilel@univ-oeb.dz**

♣ **جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي safo.mosta87@gmail.com**

including the deliberative current, where the linguistic phenomenon was, until not so long ago, studied from several linguistic aspects only. .

This, and perhaps our sculptor in the Arab heritage has represented and complied with the scientific study of language to a large extent, among some of them transcending the linguistic phenomenon itself to the linguistic usage, which in the modern era was considered one of the most important pillars of the deliberative approach.

Through the above, we would like to seek the features of this modern linguistic trend in the efforts of our ancient scholars, among whom are grammarians

Key words: pragmatic, ibn muti, al-safwa al-safi ', grammar

.*** *** ***

مقدمة:

تتأسس رؤية البحث في اللسانيات الحديثة على مبدأ حصر الظاهرة المدروسة، وعزلها إلى الحد الذي يتبين فيه موضوعها بدقة، مدعاة للعلمية في الدراسة، بعد ما كان موضوع البحث اللغوي القديم متداخل الغايات، ولقد استفادت اللسانيات الحديثة _ في إطار رؤيتها الصارمة لموضوعها اللسان، وفي إطار منهجها الواصف _ من تحديد القواعد والأطر العامة التي تحكم اللغة، خاصة بعد ما وضع دي سوسور مجموعة من الثنائيات[1] المحددة لطبيعة العلامة اللغوية، وطبيعة منهج الدراسة وموضوعها، وتأتي الثنائيات السوسيرية– نسبة إلى سوسور- على شكل متقابلات يختلف فيها كل طرف عن الآخر .

أفضى هذا الاختلاف إلى تعدد الاهتمامات البحثية في ميدان اللسانيات، فإن كانت المدرسة البنيوية ومن حذا حذوها قد اهتمت باللغة في شكلها البنائي، فإن المدرسة الوظيفية التواصلية، والسياقية، والتداولية، قد اهتموا باللغة من الناحية البنائية والاستعمالية؛ توسيعا لرؤية شاملة للغة، رؤية تهتم بالبنية والتداول معا .

على هذا الأساس أردنا أن ننظر للشروح النحوية من زاوية تداولية نبغي من خلالها الكشف عن تلك الملامح التداولية التي ضمنت في مثل هذه الشروح ، فما هي أهم هذه الملامح التداولية المبثوثة في مثل هذا النوع من الكتابات النحوية؟ وكيف أسهمت في تقديم المادة النحوية للقراء؟

وننطلق في دراستنا هذه مما نفترضه من حضور قسري للمعطى التداولي في جميع الخطابات، لا سيما ما نحن بصدد دراسته كمدونة لهذا العمل وهو شرح الصفوة الصفية على ألفية ابن معطي الزواوي البجاوي الجزائري.

2. مصطلح التداولية (La pragmatique)ومفهومه:

1.2 التداولية في المعاجم الأجنبية :

اتفقت المعاجم الأجنبية في شرحها لكلمة La pragmatique على معنى العمل، وهو ما يعنيه الجذر pragma في اللغة اليونانية . جاء في القاموس الفرنسي (Le petit LAROUSSE): "البراجماتية قسم من اللسانيات يدرس العلاقة بين اللسان والاستخدام وعلاقة المتكلم بالوضعية الاتصالية"[2]

أما المعجم الأنجليزي (Oxford) فقد أورد المصطلح بمعنى العملي والواقعي "البراجماتية صفة تدل على التعامل مع الوضعيات بطريقة عملية بدلا من التعامل معها نظريا"[3].

في المعجمين المذكورين لم يخرج معنى (pragmatique/pragmatic) عن دلالته عن العمل، وهو المفهوم الذي أوردته المعاجم المختصة في مجال اللسانيات ، إذ يشير معجم اللسانيات لجون دي بوا إلى أن مصطلح "براجماتية يحمل مجموعة من المفاهيم، وهو في الأصل يعني خصائص استعمال اللغة، هذه الخصائص متعلقة بنفسية المرسل وتفاعل المتلقي، ونوع الخطاب وموضوعه مع احترام نحويته وسيميائيته ، وتعني أيضا دراسة أفعال اللغة"[4]

ترجم الباحث المغربي طه عبد الرحمان[5] مصطلح pragmatique إلى اللغة العربية واختار له مصطلح (التداولية) الذي تلقفه الدارسون من بعده يقول طه عبد الرحمان: "قد وقع اختيارنا منذ سنة 1970 على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي براغماتيقا لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنى الاستعمال والتفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"[6].إلا أن هناك ترجمات

أخرى لمصطلح pragmatiqu استعملها الباحثون منها الذرائعية ، والنفعية ، والراجماتية ، وعلم التخاطب .

2.2 التداولية في المعاجم العربية :

أخذ مصطلح التداولية من الجذر اللغوي (دَول) الذي يدل على الانتقال من حال إلى حال، وتداول الشيء معناه أن يكون مرة لهذا ومرة لهذا جاء في كتاب العين : "دول، الدُولة، الدَولة لغتان ومنه الإدالة . قال الحجاج: (إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها) أي نكون في بطنها كما كنا على ظهرها "[7]. وفي معجم لسان العرب ذكرت معاني عديدة منها تصب كلها في التحول من حال إلى حال "دول : الدَولة والدُولة : العُقبة في المال والحرب سواء ... أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى ... يقال صار الفيئ دولة بينهم يتداولونه مرة لهذا ومرة لهذا... وقال الزجاج الدُولة اسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال "[8]ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة :"الدال والواو واللام أصلان : أحدهما يدل على تحول الشيء من مكان إلى مكان ، والآخر يدل على ضعف واسترخاء"[9]

وقد حمل المعجم الوسيط الذي نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة المعاني الواردة في المعاجم السابقة "دال الدهر دولاً ودَولة ؛ انتقل من حال إلى حال والأيام دارت ... وأدال الشيء جعله متداولا ، وفلان وغيره على فلان أو منه : نصره وغلبه عليه وأظفره به ، وفي حديث وفد ثقيف : (ندال عليهم ويدالون علينا) داولَ كذا بينهم جعله متداولا تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء ويقال داول الله الأيام بين الناس أدارها وصرفها وفي التنزيل العزيز : (آية)"[10]

تحمل هذه التعاريف معنيين رئيسين للتداولية، وهما المعنيان اللذان أسس عليهم طه عبد الرحمان اختياره لهذه الترجمة، وهما الاستعمال والتفاعل ، واستعمل مترجمو معجم تحليل الخطاب لباتريك شارودو ودومينيك مانغنو والقاموس الموسوعي للتداولية لجاك موشلار وآن ريبول مصطلح تداولية –أيضا- ترجمة للمصطلح الغربي pragmatique

ويرى محمد محمد يونس أن ترجمة لفظة pragmatique بالتداولية أو النفعية أو الذرائعية لا تفي بالغرض على أكمل وجه، ويقترح ترجمة أخرى للمصطلح ، إذ يقول : "إن ترجمة pragmatics بعلم التخاطب أنسب –في رأي- من الخيارات التي اطلعت عليها حتى الآن"[11] .

وتأتي هذه الترجمة نتيجة للمقاربة التي أجراها الباحث بين مصطلح الاستعمال عند الأصوليين ومصطلح التخاطب في اللسانيات فاستعمال اللغة هو التخاطب بها[12]. إلا أن مصطلح علم التخاطب لم يكن له الحظ الكافي من التداول بين الباحثين مقارنة بمصطلح التداولية الذي شاع استعماله بكثرة في البحوث العلمية اللسانية وغير اللسانية.

جاء في معجم تحليل الخطاب أن "التداولية مفهوم يستعمل اسما (تداولية) كما يستعمل صفة (مقاربة تداولية) وقيمته على عدم استقرار شديد، فهي تسمح في نفس الوقت بتعيين فن فرعي من اللسانيات ونزعة ما في دراسة الخطاب أو بصفة أوسع تصور ما للغة"[13]

أما القاموس الموسوعي للتداولية فيرى أن "استعمال لفظ تداولية جرى شيئا فشيئا في الأدبيات اللسانية إلى حد لم يعد معه من المناسب ألا نتحدث عن التداولية باعتبارها فرعا من علوم اللغة بل من اللسانيات إلا أن العلاقة بين التداولية واللسانيات ليست بسيطة"[14].

فالعبارتان (وقيمته على عدم استقرار كبير)، (إلا أن العلاقة بين التداولية واللسانيات ليست بسيطة) تكشفان عن حقيقة عدم وضوح الدرس التداولي وتداخله مع كثير من العلوم الأخرى، على غرار اللسانيات، وقبل أن نكشف عن علاقة التداولية ببعض العلوم المتاخمة لها ، سنتحدث بإيجاز عن الفضاء المعرفي الذي نشأت فيه .

3. نشأة التداولية :

نميز في نشأة التداولية بين اتجاهين رئيسين[15]: الاتجاه الأول هو الاتجاه الفلسفي الذي عادة ما يطلق عليه تسمية pragmatisme والاتجاه اللساني أو التداولية اللسانية والتي يطلق عليها تسمية pragmatique .

والتداولية اللسانية التي تعنينا في هذا البحث ظهرت أول مرة في تقسيم شارلز ويليام موريسلسبل التعامل مع العلامة فهو يرى أن العلامة يمكن النظر إليها من خلال ثلاثة أبعاد[16]:

1. **البعد التركيبي:** ينظر إلى العلامة باعتبار قدرتها على الانضواء داخل مقاطع من علامات أخرى وفق قواعد تأليفية.

2. **البعد الدلالي**: يُنظرُ إلى العلامة في هذا المجال باعتبار علاقتها بما تدل عليه.
3. **البعد التداولي**: إنَ العلامة في هذه الحالة تتحدد من خلال وظيفتها الأصلية والآثار التي تحدثها عند المتلقين؛ أي الطريقة التي يستعمل فيها المتلقي هذه العلامة .

وكان ذلك عام 1938[17]، لقد اعتمد طه عبد الرحمان هذا التقسيم وقسم اللسانيات أقساما ثلاثة: الدَاليات، الدلاليات، والتداوليات وهذا في إطار بحثه عن منهج لمقاربة التراث إذ اعتمد على اللسانيات والمنطق كونهما علمين من شأنهما أن يتضافرا ليشكلا منهجا للمقاربة[18]

ثم تبلورت المقولات والنظريات التداولية شيئا فشيئا من طرف مجموعة من المهتمين بالمنطق وفلسفة اللغة وكان ذلك خلال إلقاء محاضرات وليام جيمس وكان من رواد هذه المحاضرات الفيلسوف جون أوستينصاحب نظرية أفعال الكلام التي تعتبر أهم النظريات التداولية ونظَر لها في كتابه الموسوم بـ : كيف ننجز الأشياء بالكلمات (How to do thingswithwords) .

تعد فكرة ألعاب اللغة التي جاء بها فتجينشتينإحدى روافد نظرية أفعال الكلام حيث "تعد أساسا إلى بيان طريقة الاستعمال الفعلي للغة، دون العناية بمعنى الكلمات في هذه المرحلة الأولى من البحث"[19] فطريقة الاستعمال الفعلي للغة هي الكفيلة بجعل الأقوال تنتج أفعالا متعددة ومختلفة، تتجاوز التقرير، والاستفهام، والأمر، وهو تقسيم المناطقة الذي يرفضه فتيجنشتين ويرى أنها توجد أنواع أخرى لا تعد ولا تحصى لاستعمال اللغة[20]، وعلى هذا الأساس بنى أوستين نظريته في الكلام واستنتج أن هناك ملفوظات إنجازية تحكمها شروط معينة تجعل منها ملفوظات قادرة على تحقيق أفعال، وسيأتي تفصيل ذلك في المباحث القادمة .

4 مفهوم أفعال الكلام :

أفعال الكلام نظرية صاغها أوستين وألقى محاضراته في محاضرات جيمس – كما أسلفنا- وتسمى أيضا أفعال اللغة وقد نشأت هذه النظرية "من أهم مبدأ في الفلسفة اللغوية الحديثة وهو أن الاستعمال اللغوي ليس إبراز منطوق لغوي فقط بل انجاز حدث اجتماعي معين أيضا في الوقت نفسه "[21] أي أن مستعمل اللغة أثناء كلامه ينجز أفعالا متعددة بخلاف فعل النطق الفيزيائي للألفاظ "فالكلام يتمثل في تبليغ بعض المعلومات عن

الشيء الذي يتم الكلام في شأنه لكنه يتمثل أيضا في فعل؛ أي محاولة التأثير في المخاطب بل في العالم المحيط فعوض أن نقابل الكلام بالفعل كما يقع عادة، ينبغي أن نعتبر القول في حد ذاته شكلا ووسيلة وعمل "[22]

أما معجم اللسانيات فهو يقدم تعريفين لكل من أفعال الكلام وأفعال اللغة :

1 – نسمي فعلا كلاميا الأقوال الإنجازية الحقيقية التي تصدر من متكلم والمنجزة في حالة معينة والتكلم كذلك في حالة حدث كلامي .

2 – نسمي فعلا لغويا استعمال اللغة كفعل وليس كرسالة فقط وأصل مصطلح act de langage هو ترجمة للمصطلح الأنجليزي speech act [23]

وهذا يعني أن الفعل الكلامي هو كل المنجزات التي يؤديها المتكلم بالألفاظ "فالفعل الكلامي يعني التصرف أو العمل الإجتماعي والمؤسساتي الذي ينجزه الإنسان بالكلام"[24]وينقسم الفعل الكلامي إلى أقسام : فعل القول، والفعل المتضمن في القول، والفعل التأثيري ومن أهم هذه الأفعال الفعل المتضمن في القول الذي أولى له الدارسون بعد اوستين عناية خاصة .

مفهوم الفعل المتضمن في القول :

يعرف معجم اللسانيات الفعل المتضمن في القول illocutoire بأنه كل فعل كلامي حقيقي أو يحقق حدثا إنجازيا ، فجملة : أعدك ألا أكررها ثانية.تحقق فعل الوعد وفي نفس الوقت تبين طبيعة الوعد، وتظهر عادة في الأفعال المتضمنة في القول أفعال الحدث، مثل: أفعال الأمر وأفعال الهيئة مثل فعل القسم[25]

ومتضمنات القول (les implicites) مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره

5. التعريف بابن معطي:

1. 5 اسمه:

أبو الحسين عبد المعطي بن عبد النور الزواوي، الملقب بزين الدين الحنفي، كان أحد أئمة عصره في النحو واللغة[(26)].

ويعرف بابن معط وتكتب ببن المعطي بإثبات الياء.

2. 5 مولده:

ولد ابن معطي بالمغرب سنة 564 هـ ولم يعين له المترجمين البلدة التي ولد بها ولان صح أنه ولد حيث توجد قبيلته فيكون بضاهر بجاية بالكسرة وتخفيف الجيم[27]

3. 5 عصره:

يحي بن عبد المعطي إمام في العربية، أديب شاعر مولده بالمغرب وقدم دمشق فأقام بها زمننا طويلا ثم رحل الى مصر فتوطن بها وتصدر بأمر المالك الكامل لإقراء النحو والأدب بالجامع العتيق[28]، عاش ابن معطي حياته شطرين: شطرا في المغرب حيث ولد وتلقى معارفه الأولى وشطرا في المشرق حيث صنف ونظم ولقد كان من يمني طالع، ابن معطي أنه عاش في القطرين أزهى أيامه ففي المغرب ظل يبذل جهودا جبارة في سبيل إقرار الوحدة المغربية وفي هذا العصر ازدهر العلوم العربية من النحو والصرف والبلاغة وغيرها...، حيث شهد المغرب علماء أفذاذا .[29]

لم تظل إقامة ابن معطي بالمغرب فسرعان ما سافر منها إلى بلاد الشام التي عاش فيها جزءا من شبابه فقد ذكروا أنه نظم فيها ألفيته الدرة الألفية.[30]

4.5 مؤلفاته:

ذكر من ترجم لابن معطي عدد من مؤلفاته تشهد بأصالته وعمق فكره ونذكر منها:

- الدرة الألفية
- الفصول الخمسون
- حواش على أصول ابن سراج

توفي رحمه الله بالقاهرة سنة 628هـ

6. ألفيته:

الدرة الألفية ألفية لابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة نظمها المصنف على بحرين الرجز والسريع وهذا الاختيار لم يسبق إليه.

هذه المنظومة من الشعر التعليمي الهادف إلى تعليم طريقة في الصياغة والتركيب والتعبير للباحثين على قواعد اللغة العربية ونشرها وتعليمها للناس، ويعتبر ابن معطي أول من كتب ألفية في النحو فهو السباق للنظم الألفوي لتيسير وحفظ قواعد النحو.

وصدق من قال من حفظ المتون حاز الفنون.

إن المتأمل يشهد على عناية العلماء بهذه الألفية فقد تناولها عدد كبير من العلماء بالشرح والتعليق حتى بلغ عدد شروحها سبعة عشرة شرحا منها ما وصلنا وحُقق وبعضها لا زال مخطوطا محفوظا في مكتبات الغرب، وما يهمنا في هذه الورقة البحثية هو شرح الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية لتقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن الحسين النيلي من علماء القرن السابع للهجرة، والتي أردناها أن تكون نموذجا للتطبيق على علاقة المفاهيم التداولية في المنجز النحوي العربي وذلك من خلال الكشف عن اشتغال مفاهيم نظرية أفعال الكلام داخل هذا الشرح، إذ تعد الألفية بمثابة أفعال أقوال والمادة المعرفية التي تحتويها بمثابة أفعال متضمنة في القول وشروحها هي أفعال تأثير بالقول وهي أيضا تصبح أفعال قول أخرى ومحتواها أفعال متضمنة في القول وما تثيره في طلبة العلم من فهم واستجابة لتعليمات النحاة حول القواعد النحوية هي أفعال تأثير بالقول وسنكتفي من هذه المدونة التي تحتوي على ثلاثة أجزاء ببعض النماذج المختارة التي نود من خلالها توضيح هذا المبحث التداولي في كتابات النحاة العرب.

جاء في ألفية ابن معطي في علامات الاسم قوله[31]:

فالاسم عرفهُ وأخبر عنه وثنه واجمعه أو نونهُ

واجرره أو ناده أو صغره وانعته أو أنثه أو أضمره

يلاحظ من الأبيات وجود ضمير المخاطب الهاء في أفعال الأمر عرفهُ ، أخبر عنه، ثنه، اجمعهُ، نونهُ، اجرره، ناده، صغره، انعته، أضمره. في جميع هذه الأفعال يظهر افتراض سياق تواصلي بين الناظم وسامعه أو مجموعة المتعلمين أو أي متلقي للمتن أينما كان وفي أي زمن حل، ويعدا البيتين من أفعال القول، فهو قول منجز بالفعل من طرف متكلم ويحمل في طياته فعلا متضمنا في القول يُشكل ركيزته التي بني عليها هذا القول وهو "كل فعل كلامي حقيقي أو يحقق حدثا إنجازيا... وتظهر عادة في الأفعال المتضمنة في القول أفعال الحدث مثل أفعال الأمر وأفعال الهيئة مثل فعل القسم"[32]وتتمثل إنجازية الأفعال الكلامية في ما يحمله فعل الأمر من سمة توجيهية تعليمية فالسياق المنوط بهذه القول هو سياق تعليمي إذ يتضح من الصبغة العامة لأبيات القصيدة أنها ذات طابع تعليمي توجيهي يحمل دلالات ضمنية مفادها التوجيه والإرشاد، وبالتالي القيمة التعليمية تتجلى في ما تخلفه أفعال القول

من أفعال التأثير بالقول والتي يستدل عليها من خلال الأخذ بلب القاعدة وممارستها في التكلمات اليومية من طرف المتكلمين العاديين، في حين تظهر سمة الفعل التأثر في القول عند الشراح إذ تعد الأبيات أفعال لها انجازيتها على الشراح فتحدث عندهم استجابة يستدل عليها من خلال ما يقدمونه من شروح للأبيات، وبدورها تصبح الشروح هي الأخرى أفعال أقوال وتتضمن أيضا أفعال نطلق عليها أفعال متضمنة في القول وتحدث هي الأخرى إنجازية معينة على المتلقيين، مع اعتبار سياق تعليمي في كل مرة أقطابه الشيخ والمتعلم والمادة المعرفية، وهذا الصنف من الافعال يسمى تداوليا بالأمريات.

يقول الشارح في الصفوة الصفية حول هذه الأبيات" لما ذكر حد الاسم وعرفه به أراد أن يعرفه بعلامة تختص به ليعرف الشيء بحده وخاصيته... وأما الخاصة فلا يلزم من انتفائها انتفاء الاسم لمانع لم تنتف حقيقة الاسم..."[33]

يتضح لنا من خلال قول الشارح أن أفعال الأقوال التي نسجها الناظم قد حققت إنجازيتها لدى صاحب الشرح، مستفزة معارفه ومدركاته محققة بذلك تأثيراتها فيه، حيث أنه عمد إلى تقديم شروح لتلك الأبيات قوالب ميسرة ومبسطة بجكم السياق التعليمي الذي يحكم أفعال القول التي أنتجها الشارح، وهذه الأفعال القولية ستغدو بدورها أفعال متضمنة في القول لها إنجازيتها وتأثيراتها على المتلقين سواء من خلال قيام بعض الشارح بتأليف التعليقات والحواشي على هذا الشرح أو من خلال تمظهر تأثيرات الأفعال القولية للناظم على مستوى عامة المتعلمين لهذه القاعدة في مختلف مناحي الحياة العلمية والعملية.
وجاء في ألفية ابن معطي أيضا قوله[34]:

وقف على المنصرف المنصوب بألف عن نونه مقلوب
وفي سواه قف بغير إبدال واحذف من المنقوص بالإعلال
فإن تعرفه فانتبه وقف وقف على المقصور حتما بالألف

تتضمن هذه الأبيات التي نسجها الناظم مجموعة من أفعال الأمر (قف، احذف، قف، قف) فهذه الأفعال الصادرة من الناظم إلى ضمير المخاطب " أنت" توحي بأن الناظم قد تمثل في ذهنه واستحضر سياقا تواصليا معينا بأقطابه المختلفة " معلم، متعلمون، مادة تعليمية... " فيحس بذلك كل مطلع على هذه الأبيات بأنه هو المقصود والمستهدف من خلال ضمير المخاطب " أنت" فيشد بذلك انتباهه ويعزز من تركيزه وهذه الأفعال القولية تندرج

تحتها أفعال متضمنة في القول التي تتجلى انجازيتها فيما تحمله من ملامح معرفية وفيما ستحدثه في نفوس المتعلمين من تأثيرات قولية يتمثلها المتعلمون ويستحضرونها في ممارساتهم اليومية كما تظهر تأثيراتها على الشراح وهو ما نجده عند صاحب الصفوة الصفية.

حيث يقول الشارح في الصفوة الصفية حول هذه الأبيات :" أراد بالمنصرف المنون بدليل قوله بألف عن نونه وأراد بالنون التنوين لأنه نون ساكنة... يعني على سوى المنصوب المنون وهو المرفوع والمجرور أما المرفوع فلا يبدل من تنوينه..."[35]

من خلال اطلاعنا على الشرح الذي قدمه صاحب الصفوة الصفية لهذه الأبيات يمكن القول أن أفعال الأقوال التي صاغها الناظم حققت وظيفتها الانجازية لدى الشارح بحيثا استفزت واثارت أفكار الشارح ومعارفه وحققت تأثيراتها هذه الأفعال التأثيرية متجسدة في الأفعال التقريرية التي قدمها الشارح بحيث سعى إلى تقديم تلك الأبيات المنظومة في صورة سهلة وفي قالب تعليمي تبسيطي للمتعلم كون أن السياق الذي يحكم هذه العملية التداولية هو سياق تعليمي توجيهي تصحيحي، وهكذا تتحول أفعال الأقوال التي أنتجها الشارح أفعالا متضمنة في القول لدى المتعلم تحقق انجازيتها من خلال ما تحمله من شحنات معرفية تعليمية للمتعلم وبما تثيره فيه من أفعال تأثيرية تدفعه إلى تمثل واستحضار الشرح وقواعده في استعمالاته التخاطبية في مناحي الحياة المختلفة.

ورد في ألفية ابن معطي قوله:[36]

والحرف فضلة بلفظ خالي من علم الأسماء والأفعال

يجئ إما رابطا أو ناقلا أو زائدا مؤكدا أو عاملا

من خلال ملاحظتنا لهذه العبارات" والحرف فضلة بلفظ خالي- من علم الأسماء والأفعال – يجئ إما رابطا أو ناقلا ..." نجدها بأنها في ظاهرها عبارات تقريرية " الغرض منها التقرير" فالناظم قرر من خلالها مجموعة من المعلومات والمعارف حول خواص الحرف وميزاته التي يمتاز بها عن الاسم والفعل إلا أنه بمجرد أن نضع في حسباننا أن الناظم ضمن سياق تعليمي تدريسي لفئة أو مجموعة من المتعلمين صح اعتبارها أفعالا انجازية مضمرة " هذه الأفعال المضمرة هي (اعلم، انتبه، اعرف) وتتجلى انجازيتها فيما تحمله الأفعال الأمرية المضمرة من سمة توجيهية تعليمية، وعليه فإن قيمتها ستتجلى فيما ستخلفه من أفعال

تأثيرية بالقول على المتعلمين من خلال استحضارهم لخواص الحرف في استعمالاتهم اليومية التواصلية، كما ظهرت ملامح تلك الأفعال القولية وانجازيتها في الأفعال التأثيرية عند الشارح من خلال قوله في الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية:" ومرادهم يكون الحرف فضلة في التركيب لا في المعنى وقوله خالي من علم الأسماء والأفعال أي من علامات الأسماء والأفعال..."[37]

هذا الشرح الذي قدمه صاحب الصفوة الصفية في قالب تقريري يقودنا إلى الإقرار والتسليم بإنجازية الأفعال القولية للناظم وتأثيرها في الشارح وهو ما يفسر ما ما قدمه من شروح وتعليقات لها قصد تقريب المعلومة من ذهن المتعلمين كون السياق الذي يحكم هذه العملية التواصلية سياق تعليمي تلقيني بامتياز، وهذه الأفعال القولية التي قدمها الشارح ستغدو بدورها أفعالا متضمنة في القول لها انجازيتها من خلال ما شحنت به من سمات معرفية، كما أن ستحدث تغييرات وتأثيرات تتجلى من خلال أفعال التأثير القولية لدى المتعلمين وذلك من تمثل تلك القواعد والأحكام والامتثال لما فيها في مختلف مناحي تخاطباتهم اليومية قولية كانت أو خطية.

جاء في ألفية ابن معطي في أنواع المعارف:[38]

أما المعارف فخمس تذكر أولها الأعلام ثم المضمر

والمبهم المخصوص والمعرف باللام والمضاف لاسم يعرف

من خلال ملاحظتنا لهذين البيتين نجد أن العبارات الواردة فيهما عبارات تقريرية في ظاهرها الغرض منها تقديم مجموعة من المعلومات والمعارف حول أنواع المعارف، لكن بمجرد استحضارنا واستذكارنا أن الناظم في سياق تعليمي توجيهي تصحيحي للمعارف لفئة من المتعلمين ضمن سياق افتراضي تمثله الناظم في ذهنه يمكن القول أن هذه العبارات تقريرية في ظاهرها غير أن في باطنها أفعال انجازية مضمرة " اعلم، اعرف، انتبه" وتتجلى انجازية هذه الأفعال فيما تحمله من سمات تعليمية تلقينية، وقيمتها الانجازية فيما ستحققه من أفعال تأثيرية على المتعلمين في محادثاتهم المختلفة كما تتجلى تأثيراتها لدى الشارح من خلال قوله:" المعارف جمع معرفة وهي مصدر في الأصل ثم وصف به... والأول إما أن يكون من أوله وهو المعروف باللام وإما عن آخره وهو المضاف والثاني هو المعنوي..."[39]

إن هذا الشرح الذي قدمه صاحب الصفوة الصفية في شكل قوالب قولية تقريرية بيبن لنا انجازية الأفعال القولية التي قال بها الناظم فضلا عن تأثراتها عليه وهو ما يفسر ما قدمه من شروح وتبسيطات قصد تقريب موضوع المعارف للمتعلمين، وفي ظل هذه السيروة تتحول الأفعال القولية التقريرية الصادرة من الشارح أفعالا لها انجازيتها وتأثيراتها على المتعلمين وذلك من خلال استيعابهم الشرح واستحضارهم لها في أذهانهم أثناء استعمالاتهم التواصلية المختلفة.

إن الملاحظ من خلال تحليلنا لبعض النماذج من هذه المدونة أن مثل هذه النماذج من التأليف ذات الصبغة التعليمية والتي يجكمها سياق تعليمي معين سواء كان افتراضيا تمثله صاحب المدونة أو كان حقيقا يغلب عليها الأفعال الكلامية المندرجة تحت ما يمسى "بالأمريات" و "التقريريات" وهذا راجع كما سبق وأشرنا إليه آنفا إلى السياق العام الذي يحكم ويحدد طبيعة ما يجب أن يكون من أفعال كلامية ومالا لا يجب أن يكون.

7 خاتمة:

وفي نهاية هذا المقال يمكن أن نصوغ مجموعة من النتائج في النقاط الآتية:

- المنظومات النحوية وشروحها تميزت باحتوائها على كثير من ملامح الدرس اللساني الحديث بما في ذلك النظرية التداولية
- نظرا للبعد التعليمي التلقيني والتبسيطي لهذه الشروح النحوية فقد قامت في مجملها على مجموعة من الأفعال الكلامية التي تندرج ضمن الأمريات والتقريريات
- السياق التعليمي الذي يحكم المنظومات النحوية يفرض ورود هذه الأفعال الكلامية دون غيرها من الأفعال الكلامية الأخرى.

*** *** ***

هوامش:

1،الثنائيات نتاج تمحيص لبنى اللغة، وهي لا تمثل تطابقا واختلافا جذريا، فهي متداخلة وتبدأ حيث تنتهي سابقتها، وليس لأحدهما قيمة إلا بالأخرى وهي كالآتي : التمييز بين اللغة والكلام، التمييز بين الدال والمدلول، التمييز بين الدراسة الآنية والزمنية، التمييز بين العلاقة الجدولية والعلاقة الأفقية. ينظر : نعمان بو قرة : المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، ص ص 76 ، 77 .

2،Le petit larousse ,grand format : larousse , paris, France,2005, p 856

3،Oxford wordpower, publishing worldwid, oxford, new york ,ed 3 , 2011 , p 608

4،Jean Doubois : dictionnaire de linguistique, larousse , paris, éd 1 , 1994, p 375

5،طه عبد الرحمان (1944 - ....) واحد من العارفين الفلاسفة، ومفكر في العالم العربي المعاصر، مغربي الأصل، نال شهادة الدكتورا في الفلسفة من باريس عام

6، طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، دار البيضاء، المغرب ، ط 2 ، 2000 ، ص 28 .

7، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين، تحقيق ، عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2013، ج2، ص60.

8، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق، عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ، ص 1455 .

9، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع، ج2 ، دط، ص314.

10، مجمع اللغة العربية القاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص 304 .

11، محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 102

12،ينظر، محمد محمد يونس علي، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص8.

13، باتريك شارودو ودومنيك مانغنو ، معجم تحليل الخطاب، ترجمة ، عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008، ص 442.

14 جاك موشلار وآن ريبول ، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة ،مجموعة من الأساتذة والباحثين، اشراف، عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010، ص21.

15جعل بعض العلماء مصطلح pragmatisme خاصا بحقل الفلسفة العملية أو النفعية وجعلوا pragmatics–بالأنجليزية- لعلم اللسان التداولي، وقد استخدمه اللساني جورج يول في الحقل اللساني وجعله عنوان كتابه. ينظر: محمود عكاشة: النظرية الراجماتية اللسانية ، مكتبة الآداب القاهرة، دط، ص9

16،امبرتو ايكو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص56.

17 تجدر الإشارة إلى أن هناك خلافا في هذا التاريخ فأمبرتو ايكو يذكر أن هذا التقسيم كان سنة 1946 أما معجم تحليل الخطاب فيذكر أنه كان سنة 1938 . ينظر: المرجع السابق، ص55 ، و معجم تحليل الخطاب ، ص 442.

18، ينظر، طه عبد الرحمان ، في أصول الحوار، ص 28 .

19، صلاح اسماعيل عبد الحق ، التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 120.

20، ينظر ، المرجع السابق، ص 123.

21، خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1 ، 2009 ، ص 89.

22، باتريك شارودو ودومنيك مانغنو: معجم تحليل الخطاب ، ص20.

23 ، Jean Doubois : dictionnair de linguistique , p 14

24، مسعود صحراوي : التداولية عند العلماء العرب، ص 10

25 ، Jean Doubois : dictionnaire de linguistique, p 240.

26، ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تح احسان عباس، دار الصادر بيروت، دط، ج6، ص997.

27، السيوطي جلال عبد الرحمن ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، دط، ج2، ص344.

28، ياقوت الحموي ، معجم الادباء، إنشاد الأريب الى معرفة الأديب، تح ، إحسان عباس، دار المغرب الاسلامي بيروت لبنان،ط1 1993، ج6، ص2831.

29،ابن عبد المعطي، يحي الفصول الخمسون، ص16.

30القريدي عبد العالم، ألفيات النحو الثلاثة، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1971، ص13.

31، يحي بن عبد المعطي: الدرة الألفية، ألفية ابن معطي في النحو والصرف والخط والكتابة، ضبط سليمان ابراهيم البلكيمي، دار الفضيلة،القاهرة، ص 18.

32،jean doubois M dictionnaire de linguistique. P 240

36، إبرهيم بن الحسين المعروف بالنيلي، الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية، تح محمد بن سالم العميري، جامعة أم القرى، دط، ج1، جامعة أم القرى، ص 49.

34: يحي بن عبد المعطي: الدرة الألفية، ألفية ابن عطي في النحو والصرف والخط والكتابة ، ص20.

35: إبرهيم بن الحسين المعروف بالنيلي، الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية، ص 108-109.

36:يحي بن عبد المعطي: الدرة الألفية، ألفية ابن عطي في النحو والصرف والخط والكتابة، 18.

37: إبرهيم بن الحسين المعروف بالنيلي، الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية، ج1، ص55.

38، يحي بن عبد المعطي: الدرة الألفية، ألفية ابن عطي في النحو والصرف والخط والكتابة، 35.

39، إبرهيم بن الحسين المعروف بالنيلي، الصفوة الصفية في شرح الدرة الألفية، تح محمد بن سالم العميري، جامعة أم القرى، دط، ج1،، ق2، جامعة أم القرى، ص269..